



الم تكن معاناة أبناء المجتمع الواحد متقاربة؟ (الاناضول)

## في إشكالية خطاب المظلومية

معتز حيسو\*

وفي ذلك ظلم للأقليات، وتجاهلاً لمواقفهم الراضية لسياسات السلطة وآليات التغيير المحمول على العنف الطائفي والديني. فالأكراد وأقليات أخرى عرقية تعرضوا للتمييز وما زالوا، ويعارضون النظام في كثير من القضايا. ويكشف عن ذلك تباين مواقفهم السياسية والميدانية، وطبيعة مشاركتهم مع أطراف من المعارضة. فكيف نفهم مثلاً موقف «قوات سوريا الديمقراطية» التي يشكل الأكراد قوامها الأساسي إضافة إلى مجموعات عشائرية وفصائل أخرى عربية، وغالبيتهم من المسلمون السنة، وباربون بدعم أميركي وغطاء روسي، «داعش» وفصائل أخرى، بعضها «معتدل». أيضاً فإن مواقفهم تتباين في لحظات كثيرة عن مواقف الائتلاف الوطني المعارض، وهيئة التنسيق لقوى التغيير الوطني. من جانب آخر تتبنى مع أطراف أخرى كردية «مشروعاً فيدرالياً» يرفضه السوريون، لكنه مدعوم أميركياً، ويحظى بموافقة روسية أولية، ما يضعهم في مواجهة مؤجلة مع النظام، وبعض من الدول الإقليمية مثل تركيا وإيران...

أما فيما يتعلق بالأقليات الطائفية كافة، فإن أوضاعها لا تقل سوءاً عن بقية الفئات الاجتماعية. وموقف النظام من المعارضين من أصول أقلوية، لا يختلف عن موقفه من المعارضين من أصول أكثروية. مع ذلك فإن أنصار «الثورة السورية» ودعاتها، وأيضاً معارضة الخارج والداعمين لها، يتكثرون لمواقف المعارضة «الأقلوية» المرتبهة كما يزعمون للسلطة. ما ساهم في نشوء مظلومية أقلوية مركبة نتيجة تموضعهم بين طرفي استقطاب قصوي، ما جعل كثيراً منهم ينتحى خوفاً واحتساباً. لكن ذلك لم يقيهم من صلف المجموعات الجهادية والثورية، ومن سلطة تطعن بولائهم.

في السياق فإن تساؤلات عدة تثار بسبب استهداف المجموعات الجهادية للمخالفين لهم من أبناء جلدتهم. وجميعها يتجلى في سياق معارك التصفية والإبادة المتبادلة داخل الأطراف الجهادية، «المعتدلة منها والمتطرفة» وجميعهم من المسلمين السنة. إلا يخالف ذلك مضمون خطاب المظلومية وجوهره؟ إذاً كيف لنا أن نفصل معرفياً وسياسياً بين تجليات الصراع الظاهرية، ودوافعه المخفية؟ وهل يمثل هؤلاء الدين الإسلامي، أم أن ما يقومون به يندرج في إطار وظيفي لا علاقة له بالدين في شيء.

ما سبق يستوجب النظر إلى مجريات المعارك الدائرة بكونها حرباً ضد الحضارة الإنسانية والإنسان بأن. ما يعني أن أبعادها تتجاوز حدود الانتماء الديني أو الطائفي والمذهبي والعرق، علماً أنه يتم الاشتغال على توظيف الانتماءات المذكورة سياسياً. بمعنى آخر فإن الصراع في سوريا وغيرها من الدول العربية صراع سياسي وسلطوي بامتياز. لذلك فإن اعتماد خطاب المظلومية سنّة كانت أو شيعيّة، يُعطي للصراع أشكالاً تخالف مضامينه. وذلك يدفعنا للتمسك بخطاب عقلاني وموضوعي يربط بين العلمانية والديمقراطية، فمعاناتنا تتعلق بجانب كبير منها بأسباب سياسية لا علاقة لها في العمق، بالانتماء الديني والطائفي.

\* باحث وكاتب سوري

لشخص الراحل أكثر من الغوص في أبعاد مشروعه وأهدافه.

صفة «المقدس» التي رفعها بعض المحبين المتحمسين بُعيد رحيله كانت إحدى تلك النقاط، غير أن مؤسسته عمدت إلى ترشيدها، وعاد عنوانها إلى اعتدال خطابه وأدبياته. لطالما أشار السيد إلى خطورة هذه الظاهرة بلغة حازمة؛ «قتلتنا المقدسات التي لا قداسة لها، وعندما يعجز الإنسان عن فهم نفسه، فلن يكون قادراً على فهم الواقع المحيط به وإن سار على عجلة من الألقاب، وسط كل هذه الزحمة من كلمات التقديس والقداسة التي لا أساس دينياً ولا روحياً ولا واقعياً لها».

هذه التركيبة الفكرية الثرية لا زالت أعمق من اختصارها في معطيات المرحلة الحالية. ست سنوات مرت على رحيل فضل الله، والتركة التي أثقل بها كاهل مُريديه ومُعاديه، تزداد تعقيداً. لدى تائبينه عام 2010 ختمَ رفيق دربه السيد الغريفي في بيان نعيه: «رحل السيد الجسد، وسبقني السيد الخط والفكر والروح...». لعلّه التحدي الأكبر للبناء على تجربته كما أراد؛ في بيئة أكثر ما تكون حاجلة لتعقل المجددين، وتُضحّ خطتهم ومشاريعهم.

\* باحث وأستاذ حوزوي

النزول إلى الشارع ومدّ يده للناس إن جاع الفقراء. روحه المسؤولة هذه عصيّة على عبثيّة التغييب.

### قداسة الأشخاص

البيئة الدينية والتيارات المذهبية مشحونة أبداً بانتماءات حادة لأبطالها؛ تكاد كلّ عناوين الأديان والمذاهب والقدسات تتكثف وتتلخّص في أشخاصهم؛ فيصبحون هدف المشروع بعد أن كانوا جنداً؛

حارب فضل الله باستماتة واعية هذه البدائيّة في التعاطي مع مشروع الدين؛ وشجبت تمحور العمل حول شخص المرجع إن في حياته أو بعد وفاته؛ وكثر التصريح في غير مناسبة أن «حال التقديس للشخصيات الدينية أو لزعماء الطوائف هي من أبرز الظواهر المرضية» في مجتمعاتنا.

وفي حين يغمز البعض إلى أن جانباً من مشروعه لم يسلم بدوره من هذه الظاهرة، غير أن إطلاق الأذى في هذه المسائل أسهل بأشواط من رده، والواقع أنه ليس ثمة مؤسسة معصومة في أي عمل مجتمعي أو حتى رسمي، إن في خيار هنا أو فرد هناك، وإن كان ثمة من المواقف والشعارات ما يحكمه الاندفاع العاطفي

بالأجواء الروسية في أحدث إشارة عن تحسن العلاقات بين أنقرة وموسكو.

عدم التخلي عن منطقة الشرق الأوسط من خلال دعم النظام السوري بكافة قواها. لذا، تنتظر حامله الطائرات الثقيلة الروسية الأدميرال كوزنيتشوف الانتهاء من عمليات اختبار الجاهزية، لتنتقل أقوى الأسلحة الروسية المدمرة إلى الساحل السوري.

التدخل العسكري في دول أوروبا الشرقية، منها العلني والمباشر كما في جورجيا وشبه جزيرة القرم، ومنها غير المباشر كالدعم المعنوي كما هو الحال في إقليم قره باغ.

إذاً، إنه صراع الوجود وبسط النفوذ، وتحقيق المكاسب الاقتصادية والسياسية بينهما. لذا، فسياسة عض الأصابع على الصعيد الاقتصادي تبدو سيدة الساحة.

فقد قدر مركز البحوث الفرنسي في الاقتصاد الدولي (CEPII) خسائر الدول الغربية جراء العقوبات على روسيا بزهاء 60,2 مليار دولار. وخلص المركز إلى أن معظم الخسائر جاءت نتيجة سياسة الغرب بفرضه عقوبات على روسيا، ولم تأت بسبب العقوبات الجوابية التي فرضتها روسيا على الغرب. فبدأً عليها قامت روسيا بحظر توريد المواد الغذائية من الدول التي فرضت عقوبات عليها. وفي

29 حزيران 2016 وقع الرئيس الروسي مرسوماً يقضي بتمديد العقوبات الجوابية الروسية حتى 31 كانون الأول 2017.

في سياق آخر، قالت المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل في وقت سابق «إنه يمكن تحقيق الأمن الدائم في أوروبا عبر التعاون مع روسيا وليس بمجابهتها». وقد انتقدت سياسة موسكو بشأن الأزمة الأوكرانية مشيرة إلى أنها أثارت القلق العميق لدى دول شرق ال«ناتو».

صحيح أن المشهد الدولي بين الغرب وروسيا لا يطمئن إلا أن وقوع حرب عالمية ثالثة يبقى من سابع المستحيلات. وهذا ما عبر عنه وزير الخارجية الروسية سيرغي لافروف، في مقابلة مع صحيفة «كومسولكايا برافدا»، أنه يستبعد خطر اندلاع حرب عالمية ثالثة مع الغرب، معتبراً أن «دول العالم ما زالت تتذكر جيداً فظائع الحرب العالمية الثانية».

أخيراً، سنتقى الساحة الدولية مفتوحة على أكثر الاحتمالات. والحرب الباردة لا شك أنها لم تزل قائمة، ولا شك أيضاً أن الدول النامية هي مسرح الصراعات الدولية، وتدفع الثمن عبر التهجير والقتل والتدمير.

\* كاتب لبناني

يُشكّل منهج «صدام الحضارات» الإطار التحليلي العام لخطاب «المظلومية السنيّة». وانطلاقاً منه، يحلل عددٌ من الكُتّاب معطيات الصراع السوري ومستوياته وأشكال تجلياته المتداخلة والمتشابكة. ولذلك علاقة مباشرة بانزياح طرق وآليات التفكير السياسي ليبرالياً كان أو يسارياً، إلى حقل التحليل الديني واعتماد تجلياته وتمظهراته الميدانية اليومية مرجعاً للتحليل. ما يؤدي إلى وقوع أصحاب خطاب المظلومية في إشكالية منهجية تُبعدهم عن الجذر السياسي للأزمة، وارتباطها العضوي بتناقض وتداخل السياسات والمصالح الدولية والإقليمية.

معلوماً إن غير حكومة حملت منطلقات «الربيع العربي» على مقدمات دينية وطائفية تُناقض مقدماته وأبعاده ودوافعه الأساسية، ما دفع بالأوضاع في سوريا تحديداً إلى حقل صراع ديني، مذهبي وطائفي إشكالي، تجاوزت تداعياته حدود الجغرافيا الوطنية، ويهدد بتصدع مجتمعات أخرى متعددة.

وإذا كان المسلمون السنّة يعانون مظلومية تاريخية يكشف عن تجلياتها صراع يرتبط بسيطرة «الأقليات» على السلطة، فإننا نتساءل عن أوضاع أبناء الأقليات. ألم تكن معاناة أبناء المجتمع الواحد

### الصراع في سوريا وغيرها من الدول العربية صراع سياسي بامتياز

بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية والمذهبية والعرقية متقاربة، طبعاً باستثناء ذوي الامتياز والنفوذ أياً كان انتماؤهم. ما يعني أن اهتمام أنظمة بلدان الربيع العربي وغيرها، يتركز بالدرجة الأولى على ولاء «المواطنين» وخضوعهم. ومن يغرد خارج السرب يتعرض للقمع والاضطهاد أياً يكن انتماءؤه. ولا يغيّر من طبيعة ذلك ما نلاحظه من ارتفاع منسوب الانزياح إلى حقول دينية ومذهبية وطائفية، فجوهرها يتمحور ضمن صراعات سياسية وظيفية تتسم بالتبعية والارتهاق. وفي سياقها تندرج تموضعات رجراجة غير مستقرة، تربطها علاقة إشكالية بأسباب الصراع وتداعياته. أما محاولات إبعاد مجريات الصراع عن جذره السياسي فإنه أدخل فئات اجتماعية واسعة في حالات تناقض استقطابي انعكست تداعياته واستندت بان، على وإلى أشكال الوعي والعلاقات الاجتماعية.

ما يعني أن تحميل الأوضاع السورية على مفهوم المظلومية يحمل إجحافاً بحق السوريين كافة، ويتناقض مع مساعيهم لإحداث تغيير وطني ديمقراطي. أما اعتماد خطاب المظلومية لإنصاف أهل السنة ورفع المظلومية التاريخية عنهم في سياق الصراع على السلطة ومن أجلها، فإنه يعزز من تغاقم الاستقطاب الطائفي والمذهبي. ويتجلى ذلك باعتبارهم الأقليات القومية والمذهبية، سنداً للسلطة، ما يكشف عن إشكالية في آليات التفكير...

خلفه، لوجهة النظر الكارثية تلك، وتسويقه لها. كما أن جهوده لإعادة الاعتبار الوطني لتلك الرموز من خلال الطلب من بعض قادة الفصائل المتواجدين بالمؤتمر للاجتماع بهم، لتوضيح موقفهم وسماع رأيهم، كان واضحاً وحازماً من خلال الرد الحاسم؛ لا لقاء مع من يحمل تلك الأفكار، هذا قرارنا ولن نلتقيهم أبداً. إن إصرار البعض على دعوة أصحاب تلك الأفكار التخريبية داخل صفوف الشعب والأمة، لحضور مثل هذه المؤتمرات المخصصة للمقاومة، يستدعي أكثر من تساؤل، خاصة، أن نتائج ما حصل بعد انتهاء ملتقى دمشق، من حملة وطنية وقومية واسعة لإسقاط الصرخة ومروجيها وداعميها، كان يجب أن يدفع بالجهة الداعية، للتحقيق في مواقف كل مدعو، خاصة إذا كان غير منتم لحزب أو فصيل أو هيئة، تعترف بها تلك الجهة.

إن الصمت على مشاركة تلك الرموز المنصهينة، والسماح بصعود أحد الناطقين باسمها للمنصة للتحدث، يعتبر

\* كاتب فلسطيني